الآية ٢٥٤

الأمر بالإنفاق في سبيل الخير

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

المناسبة: حثّت الآيات السّابقة على الجهاد بالنّفس، حثّت هذه الآية على الجهاد بالمال وإنفاقه في سبيل الخير، ليدّخر النّاس ثواب ذلك عند ربّهم، وليبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدّنيا.

المعنى العام

يأمر الله تعالى المؤمنين بالإنفاق ممّا رزقهم في سبيله، فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾ واجبًا أو تطوّعًا في وجوه الخير، لتدّخروا ثواب ذلك عند ربّكم ومليككم، وخصوصًا في الجهاد الذي نحن بصدد الحضّ عليه، وبادروا إلى ذلك في هذه الحياة الدّنيا، وقدّموا لأنفسكم ما تجدونه بعد موتكم ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يوم الحساب واقتضاء الثّواب، يوم ليس فيه ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فيكتسب ما يقع به الفداء، فلا يفادي بمال، ولو جاء بملء الأرض ذهبًا، ﴿وَلَا خُلَّةٌ﴾ تنفعه من صداقته، وحتّى نسابته كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾[1] فلا تنفع إلا خلّة الأتقياء، ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ ترجى إلا من أذن له الرّحمن ورضي له قولًا، فأنفقوا ممّا خوّلناكم في سبيل الله، وجاهدوا الكافرين أعداء الله، ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ حيث وضعوا عبادتهم في غير محلّها، ونسبوا الرّبوبيّة لغير مستحقّها، إذ لا يستحقها إلا الحيّ القيّوم.

كشف القرآن الكريم عن أنّ الصّدقة هي الطّلب الذي يتمنّاه الميت لو عاد مرّة إلى الحياة، تصديقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[2] فالله تعالى شرّع لنا عبادات فيها النّفع الكثير في دنيانا وأخرانا، وبعض هذه العبادات ما يتخطّى نفعه من يفعلها، بل يصل نفعها إلى غيره فينال من فضل الله المزيد، ومن تلك العبادات العظيمة التي يعود نفعها على النّفس وعلى الغير، الصّدقات فهي طاعة عظيمة الثّواب من كافة النّواحي، ففيها تفريج للكروب وشفاء من الأمراض، ودفع للبلاء ووقاية من النّار في الآخرة.

كما أرشدنا النّبيّ ﷺ إلى فوائد الصّدقات الدّنيويّة والأخرويّة لنعرف قيمة التّصدّق، فمن فوائد الصّدقة: أنّها تدفع البلاء عن المتصدّق وأهل بيته، وتمنع ميتة السّوء، وقد بيّن النّبيّ ﷺ ذلك، فقال: ((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ))[3].

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ الْبَلَاءَ لَا يَتَخَطَّاهَا))[4].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا))"[5].

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ١٠.
(٣) رواه التّرمذيّ في سننه، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ٦٦٤، كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في فضل الصدقة، الحديث حسن غريب.
(٤) رواه الطّبرانيّ في المعجم الأوسط، عن علي بن أبي طالب، حديث رقم: ٥٦٤٣، باب: الميم، من اسمه: محمد.
(٥) رواه الطّبرانيّ في المعجم الأوسط، عن ابن عمر، حديث رقم: ٦٠٢٦، باب: الميم، من اسمه: محمد.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآية:

١.وجوب الإنفاق في سبيل الله ممّا رزق الله تعالى عبده.

٢.التّحذير من الغفلة والأخذ بأسباب النّجاة يوم القيامة، حيث لا فداء ولا خلّة تنفع ولا شفاعة، ومن أقوى الأسباب: الإيمان، والعمل الصّالح، وإنفاق المال تقرّبًا إلى الله تعالى في نشر دين الله، وتعليم النّاس الخير وغيره.

٣.عن ابن عبّاس ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ لرجلٍ وهو يَعِظُه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قبلَ خَمْسٍ: شبابَكَ قبلَ هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبلَ سَقَمِكَ، وغِناكَ قبلَ فَقْرِكَ، وفَراغَكَ قبلَ شُغلِكَ، وحياتَكَ قبلَ موتِكَ» [١].

٤.خير الإنفاق ما كان في سبيل الله ونشر هذا الدّين وهداية النّاس، فعن سهل ﷺ أنّ النّبيّ ﷺ، قال لعلي ﷺ حالفًا بالله ﷻ: «فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[٢]. وحمر النّعم: هي الإبل، وهي أنفس وأفضل أموال العرب، فهداية رجل واحد أفضل من أنفس الأموال، وبهذا يقرّر النّبيّ ﷺ أصلًا كبيرًا، وهو أنّه جاء ﷺ هاديًا، وأرسله الله مبشّرًا ونذيرًا، ولم يبعثه جابيًا، وهو يعلّم أصحابه ﷺ هذا المبدأ، وهو أن يكون الحرص على هداية النّاس.

في الأمر والنّهي

العمل بالآية:

- لتكن لك هذا اليوم صدقة خفيّة- ولو قليلة- عسى الله تعالى أن يرحمك و يكرمك في يوم ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾.

كُنْتُ أَمْشِي مع النّبيّ ﷺ في حَرَّةِ المَدِينَةِ عِشاءً، ونَحْنُ نَنْظُرُ إلى أُحُدٍ، فقالَ لي رَسولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قَالَ: قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا ذَاكَ عِنْدِي ذَهَبٌ، أَمْسَى ثَالِثَةً عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا دِينَارًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ الله، هَكَذَا»- حَتَا بَيْنَ يَدَيْهِ- وَهَكَذَا- عَنْ يَمِينِهِ- وَهَكَذَا- عَنْ شِمَالِهِ- قَالَ: ثمّ مَشَيْنَا فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ» قَالَ قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «إِنَّ الْأَكْثَرِينَ هُمُ الْأَقَلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا» مِثْلَ مَا صَنَعَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى..."[٣].

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٧٨٤٦، كتاب وباب: الرقاق، الحديث صحيح.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن سهل، حديث رقم: ٣٠٠٩، كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم على يديه رجل.
(٣) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي ذر، حديث رقم: ٩٤، كتاب: الزكاة، باب: الترغيب في الصدقة.

في الأخلاق والآداب

التوجيهات:

- لا ينفع العبد يوم القيامة إلا رحمة ربّه والتي يستمطرها بالتّخلق بأسمائه الحسنى، كالكريم. ومن ذلك الصّدقة مع صدق النيّة والشّكر لله الذي وفّقك لذلك، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾.

من الأخلاق المُحمَّديّة: الكرم

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ مِن اسمِ الله تعالى "**الكريم**".

والتَّخلُّقُ بِهِ هو بمُجاهَدَةِ النّفسِ على العَطاءِ والإكرامِ والاتّصافِ بِمَكارِمِ الأخلاق. وهو أن تُحبَّ العطاءَ أكثرَ ممّا تحبّ الأخذَ. والكريمُ هو الّذي إذا تمكّنَ واقتدر عَفا، وإذا عَقَدَ وفى، وإذا أعطى زادَ على منتهى الرّجا ولا يُبالي كم أعطى ولا لِمَن أعطى ولا يُضيّعُ مَن لاذَ بِهِ والتجا...

- **"الكرمُ يجلُبُ السّعادة"**... هكذا أظهَرَت دِراساتٌ عِلميَّةٌ تكشِفُ منطقةً في الدّماغِ مَسؤولةً عَنِ الشّعورِ بالسّعادةِ يُضيئُها أيُّ سُلوكٍ فيه عَطاءٌ وبذلٌ. كلُّ مَن تحلّى بهذهِ النِّعمَةِ يَعلَمُ أنّ العطاءَ لَهُ طَعمٌ لا مثيلَ لحلاوتِهِ، طَعمٌ لذيذٌ لا تَجِدُهُ في الأخذِ. إذا طلبَ منكَ سائِلٌ ألفًا أعطيتَه ألفَيْنِ، وإذا رأيتَ مَهمومًا يريدُ سَماعَ كَلِمةٍ مُطيّبَةٍ لِخاطِرِهِ، وَهبْتَ له أُذُنَكَ وَقلبَكَ ووقتَكَ إنصاتًا واهتمامًا... هذا هو الكَرَمُ... فهو العطاءُ فوقَ منتهى الرّجاء. ومن غير سؤال. والكرم لا يكون معه رياء، لا تَلتَفِتْ للنّاسِ ولا تطلُبْ مديحَهُم وَشُكرَهُم، ألا يكفيكَ أنّ الله تعالى يقول لك: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[1]؟!
- الكرم هو أن نبذلَ المالَ أو الطّعامَ أو الوقتَ أو العِلْمَ أو الجُهْدَ أو الخِبرةَ أو ما نحبّ عَن طيبِ نَفْسٍ ونُبْلٍ ودونَ بُخْلٍ. واعلم أنّه سيبقى لك من مالك ما تصدّقت به، وما سوى ذلك فأنت مفارقه، وتاركه للنّاس ولن ينفعك. وقد قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ﴾[2].
- وَالكَرَمُ شيمَةُ الفُضَلاء، فَالكريمُ يُعطي ممّا عندَهُ، سواءٌ كان مالًا، أو كلامًا، أو وقتًا أو عِلمًا، أو قضاءً لحوائجِ العِباد، أو بذلُ النّصيحةِ لِمَن هو محتاجٌ إلى النّصح. ولا يَستطيعُ الكريمُ إعطاءَ النّاس جميعًا بالطبع، لكن النّبيّ ﷺ أوجد الحلّ لنا حينَ قال: «إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ولكن لِيَسَعْهُم مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[3]، فإنّ بشاشةَ وجهِنا وتعامُلَنا مع النّاسِ بالأخلاقِ الحَسَنَةِ هي طريقتُنا لإكرامِهم.

في السّيرة والشّمائل

يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وحتى لمن أساء اليه:

لم يكن صفوان بن أمية بن خلف يختلف كثيرًا عن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه؛ فقد كان أبوه من أشد المعاندين للرّسول ﷺ، ومن الذين قُتِلوا في بدر، وورث صفوان بن أمية هذه الكراهية من أبيه للإسلام والمسلمين، وحارب الرّسول ﷺ بكلّ طاقته.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.
(٣) رواه الحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٢٧، كتاب: العلم، باب: في توقير العالم، الحديث صحيح.

إنّ صفوان بن أميّة كان قد دبَّر محاولة لقتل الرّسول ﷺ، وكانت هذه المحاولة بينه وبين ابن عمه عمير بن وهب، وكان وقتها لا يزال كافرًا... وفيها تعهَّد صفوانُ بن أمية لعمير بن وهب أن يتحمّل عنه نفقات عياله، وأن يسدِّد عنه دَيْنه، في نظير أن يقتل عميرٌ رسول الله ﷺ.!!

غير أنّ المحاولة فشلت، وذلك عندما أسلم عمير بن وهب ﷺ في المدينة المنورة بعد أن أخبره الرّسول ﷺ بما دار بينه وبين صفوان في حجر الكعبة!![1]

ومرَّت الأيّام، وجاء فتح مكة، وفرَّ صفوان بن أميّة فهو الّذي دبر مكيدة لقتل النَّبيّ ﷺ ورفض الإسلام، فلم يجد له مكانًا في مكّة المكرمة، وعلم أنّه لن يُسْتَقْبَلَ في أي مكان في الجزيرة العربية؛ فقد أصبح الإسلام في كل مكان، فقرَّر أن يُلقي بنفسه في البحر ليموت، فخرج صفوان في اتجاه البحر الأحمر ومعه غلام اسمه يسار، وليس معه أحد غيره حتّى وصل إلى البحر الأحمر، وهو في أشد حالات الهزيمة النفسيّة، ورأى صفوان من بعيد أحد الرّجال يتتبعه، فخاف، وقال لغلامه: ويحك! انظر من ترى؟ قال الغلام: هذا عمير بن وهب. فقال صفوان: وماذا أصنع بعمير؟! والله ما جاء إلَّا يريد قتلي، فهو قد دخل في الإسلام، وقد ظاهر محمّدًا عليَّ.

ولحق عمير بن وهب ﷺ بصفوان بن أمية، فقال له صفوان: يا عمير، ما كفاك ما صنعتَ بي! حمَّلتني دَيْنَك وعيالَكَ، ثمّ جئتَ تريد قتلي. فقال: أبا وهب، جُعِلْتُ فِداكَ...! قد جِئتُكَ من عِنْدِ أَبَرِّ النّاس، وأوصل النّاس.

لقد رأى عمير بن وهب ابن عمه وصديقه القديم صفوان يهرب من مكة فَرَقًّ له، وأشفق عليه، فأسرع إلى رسول الله ﷺ، وقال له: يا رسول الله، سيّد قومي خرج هاربًا ليقذف نفسه في البحر، وخاف ألَّا تُؤَمِّنَهُ، فداك أبي وأمي.

فقال الرّسول ﷺ: "قَدْ أَمَّنْتُهُ"!!

إنّها ليست أبدًا مواقف عابرة، إنّه -باختصار- منهج حياة..!

قال عمير بن وهب ﷺ لصفوان: إنّ رسول الله قد أمَّنَكَ.

فخاف صفوان، وقال: لا -والله- لا أرجع معك حتّى تأتيني بعلامةٍ أعرفها.

فرجع عمير بن وهب إلى الرّسول ﷺ، وقد بذل مجهودًا كبيرًا في السَّعي من البحر الأحمر إلى مكة، وهي مسافة تقرب من ثمانين كيلو مترًا ذهابًا فقط!

قال عمير ﷺ لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، جئتُ صفوانَ هاربًا يريد أن يَقْتُلَ نفسه، فأخبرته بما أَمَّنْتَهُ، فقال: لا أرجع حتّى تأتيني بعلامة أعرفها. فقال الرّسول ﷺ في منتهى التسامح: "خُذْ عِمامَتِي إِلَيْهِ"!! (لمن يعطي عمامته؟ لمن... لمن؟ خطط ودبر لقتل رسول الله ﷺ)

فأخذ عمير العمامة، وذهب إلى صفوان بن أمية، حتّى وصل إليه، وأظهر له العمامة وقال له: يا أبا وهب، جئتك من عند خير النّاس، وأوصل النّاس، وأبرِّ النّاس، وأحلم النّاس، مجده مجدك، وعِزُّه عزك، ومُلْكُهُ مُلْكُكَ، ابنُ أمِّك وأبيك، أُذكِّرك اللهَ في نفسك.

فقال له صفوان في منتهى الضَّعف: أخافُ أن أُقتل!

قال: قد دعاك إلى أن تدخل في الإسلام، فإن رضيت وإلَّا سَيَّرك شهرين!!

(١) قصّة رواها راغب السرجاني في السيرة النبوية، كتاب: اسلام مكة، باب: موقفه ﷺ مع صفوان بن أمية، ٨/٣٩. بتصرف.

ولننظر إلى هذا العرض السَّخي من رسول الله ﷺ، فلو أسلم صفوان لانتهت القضية، وأصبح له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، وإن أراد أن يأخذ شهرين كاملين يفكر فيهما، فهو في أمان!

فرجع صفوان بن أمية مع عمير بن وهب إلى رسول ﷺ، ودخل الحرم، والرّسول ﷺ يصلي بالنّاس صلاة العصر فوقفا معًا، حتّى ينتهي الرّسول ﷺ من الصّلاة، فقال صفوان لعمير بن وهب: كم تُصلون في اليوم واللّيلة؟ قال: خمس صلوات. قال: يصلي بهم محمّد؟ قال: نعم. فلمّا سلّم الرّسول ﷺ وانتهى من صلاته، صاح صفوان يخاطب النّبيّ ﷺ من بعيد: يا محمّد، إنّ عمير بن وهب جاءني بعمامتك، وزعم أنّك دعوتني إلى القدوم عليك، فإن رضيتُ أمرًا وإلّا سَيَّرْتَنِي شهرين.

فقال ﷺ في رفق وسهولة: "انْزِلْ أَبَا وَهْبٍ". (وانظر إليه يُكَنّيهِ ويَتَلَطَّفُ إليه!).

فقال صفوان في خوف: لا -والله- حتّى تُبيّن لي!!

فقال الرّسول ﷺ: "بَلْ تَسيرُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ"!

وبالفعل أطلق الرّسول ﷺ صفوان بن أميّة أربعة أشهر كاملة ليفكر..!

ثمّ كان خروج رسول الله ﷺ إلى حنين، واحتاج إلى الدّروع والسِّلاح كما مر بنا، وكان صفوان بن أمية من تجار السِّلاح المعروفين في مكة، ومع ذلك لم يأخذ رسول الله ﷺ السّلاح منه عنوةً، إنّما استقرضه بالثّمن! ولم يستغل ضعفه، وقِلَّةَ أعوانه، وإسلام مكة كلّها تقريبًا إلّا هو.

وخرج صفوان مع المسلمين إلى حنين ليرعى أسلحته، وانكسر المسلمون في أول الأمر، ثمّ أُتبع الانكسار بانتصار مهيب، وجمع المسلمون غنائم لم يسمع بها العرب قبل ذلك، وقام رسول الله ﷺ بما لم يقم به قائد في تاريخ البشرية؛ إذ وقف يقسِّم الغنائم بكاملها -على كثرتها!!- على الجنود دون أن يحتفظ لنفسه بشيء!

وكان ﷺ يُعطي المؤلفة قلوبهم من المسلمين مائةً مائةً من الإبل والشياه، وحقَّق المؤلفة قلوبهم من الثروة ما أذهل عقولهم، حتّى تنازل السّادة عن كبريائهم وعِزَّتهم، وذهبوا يطلبون العطاء المرة تلو المرة! والرّسول ﷺ لا يردُّ سائلًا، ولا يمنع طالبًا.

ومن بعيد يقف صَفوانُ بنُ أُمَيَّةَ متحسِّرًا وهو يشاهد توزيع الغنائم، فهو ما زال من المشركين، وليس له إلّا إيجار السّلاح. ولكنْ حَدَثَ في لحظةٍ ما أذهل صفوان، وأذهل المشاهدين للموقف والسّامعين عنه، وسيظلُّ مذهلاً للنّاس إلى يوم القيامة!!

لقد نادى رسولُ ﷺ صفوانَ بن أمية، وأعطاه مائة من الإبل، كما أعطى الزعماء المسلمين من أهل مكّة!!

أيتوقع إنسان -أيًّا كان كرمه أو سخاؤه- أن يحدث منه مثل هذا؟! ولم تكن ذلك نهاية الموقف!

لقد وجد رسول الله ﷺ أنّ صفوان ما زال واقفًا، ينظر إلى شِعْبٍ من شِعاب حُنين، قد مُلِئ إبلاً وشياه، وقد بَدَتْ عليه علامات الانبهار والتعجُّب من كثرة الأنعام، فقال له ﷺ في رِقَّة: «أَبَا وَهْبٍ، يُعْجِبُكَ هَذا الشِّعْبُ؟».

قال صفوان في صراحة شديدة: نَعَمْ. إنّه لا يستطيع أن يترفع وينكر.. إنّ المنظر باهر حقًّا!!

قال الرّسول ﷺ في بساطة وكأنّه يتنازل عن جمل أو جملين: "هُوَ لَكَ وَما فيهِ"!!

أذهلت المفاجأة صفوان، ووضحت أمام عينيه الحقيقة التي ظلت غائبة عنه سنين طويلة، ولم يجد صفوان بن أمية نفسه إلَّا قائلًا: ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلَّا نفس نبي، أشهد أنّه لا إله إلَّا الله، وأنّ محمّدًا عبده ورسوله!!

وأسلم صفوان ﷺ في مكانه!!

يقول صفوان بن أمية ﷺ: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ، وأعطاني، وإنّه لأبغض النّاس إليَّ، فما برح يعطيني حتى صار أحبَّ النّاس إليَّ!! أيُّ خير أصاب صفوان -رضي الله عنه-!

أيُّ خير تحقق لقبيلة بني جُمَح عندما أسلم زعيمها! وأيُّ خير تحقق لمكة!

لقد وجد الرّسول ﷺ أنّ الأغنام -مهما كثرت- ثمن زهيد جدًّا للإسلام، فهانت عليه، بل هانت عليه الدُّنيا بكاملها، فأعطاها دون تردُّد، فالدُّنيا عنده لا تعدل جناح بعوضة، والدُّنيا عنده قطرة في يَمٍّ واسع، والدُّنيا عنده أهون من جَدْيٍ أَسَكَّ "مَيِّتٍ"، ولم يكن هذا كلامًا نظريًّا فلسفيًّا، وإنَّما كان حقيقة رآها كل المعاصرين له ﷺ بعيونهم، كان واقعًا في حياته ﷺ، وحياة الصّحابة ﷺ، وحياة من عاملهم من المسلمين وغير المسلمين. ولم يتبقَّ في يده شيء لنفسه ﷺ![1].

لم يتبقّ ما يُعَوِّضُ به فقر السّنين، وانقضاء العمر، وقد بلغ الستّين بل تجاوزها!

لم يحتفظ بشيء، ورأى النّاس منه ما جعل عقولهم تطيش، وأفئدتهم تضطرب، فانطلق الأعرابُ يزدحمون عليه ﷺ يطلبون المال والأنعام لأنفسهم قبل أن تنفد، حتّى اضطّروه ﷺ- وهو الزّعيم المنتصر والقائد الأعلى- أن يلجأ إلى شجرة، وانتزع الأعراب رداءه، فقال في أدبٍ ورفقٍ، ولينٍ يليق به كنبيٍّ، ويجدر به كمُعَلِّمٍ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، فَوَاللهِ لَوْ كَانَ لَكُمْ بِعَدَدِ شَجَرِ تِهَامَةَ نَعَمٌ لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تُلْفُونِي بَخِيلًا وَلَا جَبَانًا وَلَا كَذُوبًا»[2].

وصدق ﷺ... فما كان بخيلًا، ولا جبانًا، ولا كذّابًا[3].

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك. أنت تطلب منه حظّك، ولكنّ السّعيد والموفّق هو الذي يطلب منه أن يوفّقه لأداء حقّ الله عليه. اللَّهُمّ وفّقني لما طلبته منّي واستعملني فيما يرضيك عنّي.

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوّة، باب: نزول رسول الله ﷺ، ٤٧/٥. وانظر السيرة النبوية لراغب السرجاني، باب: الهجرة الثانية إلى الحبشة، ٢/٩. بتصرف.
(٢) رواه أحمد في مسنده، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم: ٦٧٢٩، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، الحديث حسن.
(٣) أنظر، راغب السرجاني في السيرة النبوية، كتاب: ما بعد بدر، واسلام مكة، باب: أثر غزوة بدر في محاولة اغتيال النّبيّ ﷺ، وموقفه ﷺ مع صفوان بن أمية، ج٢٣، ٣٩، ص١٢، بتصرف.